السنة الرابعةُ والثمانون بعد المئة

فيها قَدِم هارونُ إلى بغدادَ من الرَّقَّة في الفرات في السُّفن وأثقالُه وأصحابُه على البَرّ.

وكان سببُ قدومِه خروجَ أبي عَمرٍو الشاري[١]؛ فإنه نزل شَهْرَزورَ، واستفحل أمرُه، ومال إليه الناس، فجهَّز إليه هارونُ زهيراً القصَّاب[٢]، فالتقَوا على شَهرزورَ واقتتلوا، فظهر الشاري، ثم كانت الدَّبرة عليه، فقُتل ومعه جماعةٌ من أصحابه، وانهزم الباقون.

وكان عليُّ بن عيسى قد توجَّه لقتال أبي الخَصيب، فطلب من عليِّ بن عيسى[٣] الأَمان، فأمَّنه، وقدم عليه أبو الخصيبِ وهو بمَرْو، فالتقاه وأكرمه ووفى له.

وحجَّ بالناس إبراهيمُ بن المهديّ، وهو ابنُ شَكْلة[٤].

فصل وفيها توفي

أحمدُ بن هارونَ الرَّشيدِ المعروفُ بالسَّبْتي

قال عبدُ الله بن الفَرج العابد: احتجتُ إلى صانعٍ يصنع لي شيئاً من أمر الرُّوزْجاريين[٥]، فأتيتُ السُّوق، فإذا في آخرهم شابٌّ مُصْفَرٌّ بين يديه زِنْبيل كبير ومَرّ[٦]، وعليه جُبَّة صوف ومئزرُ صوف، فقلتُ له: تعمل؟ قال: نعم، قلتُ: بكم؟ قال: بدِرهم ودانِق، قلت له: قُم حتى تعمل، فقال: على شريطة، قلتُ: وما هي؟ قال: إذا كانَ وقتُ الظُّهر وأذَّن المؤذِّن، خرجتُ فتطهَّرت وصلَّيت في المسجد جماعة ثم رجعت، فإذا كان وقتُ العصرِ فكذلك، قلتُ: نعم.

فقام معي، فجئنا المنزل، فوافقتُه على ما ينقله من موضع، فشدَّ وسطَه وجعل يعمل

---

(١) في (خ): الشيباني، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٢، والمنتظم ٩/ ٩٢، والكامل ٦/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٨٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٢٦.

(٢) في (خ): القصار، والمثبت من المصادر.

(٣) في (خ): موسى، وهو خطأ. وانظر المصادر السابقة.

(٤) هي أمه.

(٥) أي الذين يعملون بأجر يومي.

(٦) المر: الحبل، والمسحاة، والزنبيل: القُفَّة أو الجراب أو الوعاء. المعجم الوسيط (مرر)، القاموس.

ولا يكلِّمني حتى أذَّن الظُّهر، فقال: يا عبدَ الله، قد أذَّن المؤذِّن، فقلت: شأنك. فخرج فصلَّى وعاد، فعمل عملاً جيِّداً إلى العصر، فلما أذَّن المؤذِّن، خرج فصلَّى ثم رجع، فعمل إلى آخر النَّهار، فوزنتُ له أُجرتَه، فانصرف.

فلمَّا كان بعدَ أيام، احتجنا إلى عمل، فقالت لي زوجتي: أُطلب لنا ذاك الصَّانعَ الشابّ؛ فإنَّه قد نصحنا في عملنا. فجئتُ إلى السُّوق فلم أرَه، فسألتُ عنه، فقالوا: تسأل عن ذاك المصفرِّ المشؤومِ الذي لا نراه إلَّا من سبتٍ إلى سبت، لا يجلس إلَّا وحده في آخِر الناس! فانصرفت. فلمَّا كان يومُ السبت، أتيتُ السوقَ فصادفته، فقلت له: تعمل معي؟ فقال: قد عرفتَ الأُجرة والشَّرط، فقلت: استَخِر اللهَ تعالى، فقام فعمل على النَّحو الذي كان يعمل، فلمّا وزنتُ له الأجرة زِدتُه، فأبى أن يأخذَ الزِّيادة، فأَلحَحْت عليه، فضَجِر وتركني ومضى. فغمَّني ذلك، فاتَّبعته وداريته حتى أخذ أُجرتَه فقط.

فلمَّا كان بعد مدَّة، احتجنا إلى صانع، فأتيت السوقَ يومَ السبت، فلم أصادفْه، فسألتُ عنه، فقيل لي: هو عَليل. وقال لي مَن يَخبُرُ أمرَه: إنَّما كان يجيءُ إلى السُّوق من سبتٍ إلى سبت، يعمل بدرهمٍ ودانق، يتقوَّت كلَّ يومٍ بدانق، وقد مرض، فسألتُ عن منزله، فأتيته وهو في بيت عجوز، فقلت لها: الشابُّ الرُّوزجاري؟ قالت: هو عليلٌ منذ أيام. فدخلتُ عليه، فوجدتُه لِمَا به وتحت رأسه لَبِنة، فسلَّمت عليه وقلت: لكَ حاجة؟ قال: نعم إنْ قبلت، قلت: أَقبل إن شاءَ الله، فقال: إذا أنا متُّ، فبعْ هذا المَرَّ، واغسل جبَّتي هذه الصوفَ وهذا المئزرَ وكفِّني بهما، وافتُقْ جيبَ الجبَّة فإنَّ فيها خاتَماً، وانظر يوم يركب هارونُ الخليفة، فقِف له في موضعٍ يراك، فكلِّمه وأَرِه الخاتم؛ فإنَّه سيدعو بك، فسلِّم إليه الخاتم، ولا يكونُ هذا إلَّا بعد دفني، قلت: نعم.

فلمَّا مات: فعلتُ به ما أمرني، ثم نظرتُ اليومَ الذي يركب فيه الخليفة، فجلست له على الطريق، فلمَّا مرَّ ناديتُه: يا أميرَ المؤمنين، لك عندي وديعة، ولوَّحت بالخاتم، فأُخذت وحُملت إلى داره، ثم دعاني ونحَّى جميعَ مَن كان عنده وقال: مَن أنت؟ قلت: عبدُ الله بن الفَرج، قال: مِن أين لك هذا الخاتَم؟ فحدَّثته قصَّة الشاب، فجعل يبكي حتَّى رحمتُه، فلمَّا أَنِس قلت: يا أميرَ المؤمنين، مَن هو منك؟ قال: ابني، قلت:

كيف صار إلى هذه الحال؟ قال: وُلد لي قبل أن أُبتلَى بالخلافة، فنشأ نشوءاً حسناً، وتعلَّم القرآنَ والعلم، فلمَّا وليت الخلافة، تركني ولم ينَل من دنياي، فدفعتُ إلى أمِّه هذا الخاتمَ وهو ياقوتٌ يساوي مالاً كثيراً، فقلت: تدفعينه إلى ابنك ـ وكان بارّاً بها ـ وتسألينه أن يكونَ معه، فلعله أن يحتاجَ إليه يوماً من الأيّام فينتفعَ به، وتوفِّيت أمُّه، فما عرفتُ له خبراً إلَّا ما أخبرتَني به أنت.

ثم قال: إذا كان الليلُ فاخرج معي إلى قبره، فلمَّا كان الليلُ خرجت معه وحده، حتى أَتينا قبرَه وهو يمشي، فجلس فبكى بكاءً شديداً، فلمَّا طلع الفجرُ قمنا، فرجع ثم قال: تعاهدْني في هذه الأيامِ حتى أزورَ قبرَه. فكنت أَتعاهده في اللَّيل، فيخرج يزوره ثم يرجع.

قال عبدُ الله بن الفَرَج: ولم أعلمْ أنَّه ابنُ الرشيد حتى أَخبرني الخليفةُ أنه ابنُه[1].

وقيل[2]: إنَّ عبد اللهِ بنَ الفَرَج نقله إلى منزله، وإنَّه لمَّا احتُضر، دفع إليه الخاتَمَ وقال: إذا متُّ ودفنتني فخذ هذا الخاتَمَ وادفعه إلى أَمير المؤمنين هارون، وقل له: يقول لك صاحبُ هذا الخاتم: احذَر أن تموتَ على سَكرتك؛ فإنَّك إن متَّ عليها ندمتَ.

فلمَّا دفنته وقفت لهارونَ وأخرجت الخاتَم، فلمَّا نظر إليه عرفه وقال: مِن أين لك هذا؟ فقلت: دفعه إليَّ رجل طيَّان، فقال: طيَّان طيَّان؟! فقرّبني منه، وقلت: إنه أوصاني بوصيَّة وقال: إذا رفعتَ إليه الخاتم قل له: احذر أن تموتَ على سكرتك هذه؛ فإنَّك إن متَّ عليها ندمت. فلمَّا سمع ذلك، قام قائماً على رجلَيه وضرب بنفسه على البساط، وجعل يتقلَّب ويقول: يا بنيّ، نصحتَ.

ثم جلس، وجاؤوا بماءٍ فمسحوا وجهَه، وقال: هيه. فحدَّثته الحديثَ وهو يبكي، فقال: هذا أوَّل مولودٍ ولد لي، بَصُرت بأمِّه فتزوَّجتُ بها سراً من أبي، فأَولدتها هذا المولود، وأَحدرتُها إلى البصرة، وأعطيتُها هذا الخاتمَ وأشياء، وقلت: اكتُمي نفسك، فلمَّا وليت الخلافةَ سألت عنهما، فذُكر لي أنَّهما ماتا، ولم أعلم أنَّه باق، فأين دفنتَه؟

---

(١) التوابين ١٨٧ـ١٩٠، وانظر الغرباء للآجري ٦٩، وصفة الصفوة ٢/ ٣١٣.

(٢) هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي في المنتظم ٩/ ٩٣.

فقلت: في مقابر عبدِ الله بن مالك، فقال: إذا كان وقتُ المغربِ فقف لي على الباب، فوقفتُ، فخرج لي مُتَنكِّراً، فجئت به إلى قبره، فما زال يبكي ليلَه ويُدير رأسَه ولحيتَه على قبره ويقول: يا بنيّ، نصحتَ أباك؛ حتى طلع الفجر، فقلت: أصبحتَ يا أميرَ المؤمنين، فقال: قد أمرتُ لك بعشرة آلافِ درهم، واكتُب عيالَك مع عيالي؛ فقد وجب عليَّ حقُّك بدفنك ولدي، وأَخذ بيدي ومشينا إلى القصر، فلمَّا بلغ البابَ قال: انظر ما أُوصيك به، إذا طلعت الشمسُ فقِفْ لي حتى أدعوَك فتحدِّثني حديثَه، قلت: إن شاءَ الله. فما عدتُ إليه بعد ذلك.

محمَّد بن يوسفَ بنِ مَعْدان[1]

أبو عبد اللهِ، الأَصفهاني. كان ابنُ المبارك يسمِّيه عروسَ الزُّهَّاد. وقال ابن مَهديٍّ ويحيى بنُ سعيد: ما رأينا مثلَه. وما كان يشتري حاجَته ـ زادَه وما يحتاج إليه ـ من خبَّازٍ واحد، ولا من بقَّال واحد، ويقول: لعلَّهم يعرفوني فيُحَابُوني، فأكونُ ممَّن يكون يعيش بدِينه. ولم يكن يضع جَنْبَه إلى الأرض، وإذا نام نام قاعداً.

وكان يسكن السَّواحلَ والمَصِّيصة، وكان عابداً ورعاً، خرج في جنازة بالمصِّيصة، فنظر إلى قبر أبي إسحاقَ الفَزاريِّ ومَخْلَدِ بن الحسينِ وبينهما موضعُ قبرٍ فقال: لو أنَّ رجلاً مات فدُفن بينهما، فما أتت عليه إلاَّ عشرةُ أيامٍ حتى توفِّي فدُفن بينهما، ولم يبلغ أربعين سَنَة.

أَسند عن الثوريِّ والأَعمش وغيرِهما، وشغلته العبادةُ عن الرِّواية.

المُعافى بنُ عِمران

أبو مسعودٍ، المَوْصليِّ، الأَزْدي[2]. رحل إلى البلادِ في طلب الحديث، وجالس العلماءَ، وجمع بين الورعِ والعقل والسَّخاء والزُّهد في الدنيا ومحبَّة الصالحين

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٥٥، وصفة الصفوة ٤/ ٨١، والمنتظم ٩/ ١٠٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٦٨، والسير ٩/ ١٢٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٣٠٣، حلية الأولياء ٨/ ٢٨٨، والمنتظم ٩/ ١٠١، وصفة الصفوة ٤/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٧٦، والسير ٩/ ٨٠.

وزيارتِهم، لزم سفيانَ الثوريَّ وتفقَّه عليه وتأدَّب بآدابه، وكان يقول له: أنت معافًى كاسمك. وكان صاحبَ سُنَّة.

وكان بِشرٌ الحافي مغرًى به، ويزوره في بلدِه بالموصل ويغشاه. قال رجلٌ لبشر الحافي: أراك عاشقاً للمعافى بنِ عمران! فقال: وما لي لا أَعشقُه وقد كان سفيانُ يسمِّيه ياقوتةَ العلماء؟! ولقد قُتل ابناه بالموصل فما رأيتُه حلَّ حَبْوَته، وقال: ظالمَين أو مظلومَين؟ قالوا: مظلومَين، فحلَّ حَبوتَه وخرَّ ساجداً، وما رُئي عليه أثرُ الحزن، وما سُمع من داره صوت. كان صاحبَ كمدٍ، فجاء إخوانه يُعَزُّونه، فقال لهم: إنْ كنتم جئتم تعزُّونني فلا تعزُّوني، وإنْ كنتم تهنِّئونني فنَعم. فما برحوا حتى غدَّاهم وغلَّفهم بالغالية. وكان ابناه قُتلا في وقعةِ الموصل.

وطرق بابَه بِشرٌ، فقالت له ابنةٌ له خماسية: مَن بالباب؟ فقال: بشرٌ الحافي، فقالت: لو اشتريتَ نعلاً بدانِقَين لَذهبت عنك هذه الشُّهرة.

وكان المعافَى يقول: كتابةُ حديثٍ واحد أحبُّ إليَّ من قيام ليلة.

مات سنة أربعٍ وثمانين ومئة بالموصل. وقيل: سنةَ خمسٍ أو ستٍّ وثمانين. وصلَّى عليه عَمرو بنُ الهيثم.

أَسند عن الثوريِّ ومالكِ بن أنسٍ والليث بنِ سعد وخلقٍ كثير، وروى عنه ابنُ المبارك وغيرُه، وكان يقول: حدَّثني ذاك الرجلُ الصالح.

وصنَّف كتباً في الزُّهد والسُّنن والآداب. واتَّفقوا على صِدقه وثقتِه وورعه.